

العرب تسألون. قالوا: نعم. قال: " فخيرهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا ".
 أي إذا تعلموا أحكام الشرع وعملوا بها، فلم ينكر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معادتهم وأصولهم في الجاهلية، بل أقرها لهم إذا فقهوا في الدين، فإذا آثروا الجهل على العلم ضاعت بالجهل معادتهم، وارتفعت بالعلم معادن كانت دونهم، والله الشاعر إذ يقول:
 العلم يرفع بيتاً لا عماد له والجهل يهدم بيت العز والشرف
 ويجب بعد هذا أن نعرف الوطنية والقومية على حقيقتهما، وأن نعرف الدين على حقيقته، لأن كثيراً من الناس يخلط بينهما، ويرى أنه لا وطنية ولا قومية إلا بالدين، فلا يشارك أهل دين غيرهم في الوطنية والقومية، وهذا فهم خاطئ كل الخطأ، فالدين لله تعالى وحده، وحسابهم عليه مختلف عنده، ولكن الوطنية والقومية لجمع الناس على اختلاف أديانهم ومذاهبهم، لكل منهم حقه فيه، ولكل منهم حق الدفاع عنه بالمان والسيف، وحق الاعتزاز بماضيه ومجد آباءه فيه، على وجه ينفع ولا يضر، ويجمع ولا يفرق.

وقد عقد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) معاهدة بين أهل المدينة حين هاجر إليها، سوى فيها بينهم على اختلاف أديانهم، وجعل لأهلها من غير المسلمين حق الدفاع عنها معهم، فلما كانت غزوة أحد طلب منهم أن يقوموا بالدفاع عنها مع مواطنيهم من المسلمين، فأجابه قليل منهم، وممن أجابه مخيريق اليهودي، فقال فيه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): " مخيريق خير يهود ". فلما ذهب مخيريق إلى القتال مع المسلمين قال: إن هلكتم فمالي لمحمد. وقد قتل في هذه الغزوة مع من قتل من المسلمين، فصار ماله النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقد حبسه فيما حبسه على المصالح العامة، من فذك وأموال بني النضير وغيرها مما أفاءه الله تعالى عليه.

ولنا في رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أسوة حسنة، فليكن عندنا من التسامح الديني مثل ما كان عنده، ولنترك ذلك التزم الديني الذي كره الناس في ديننا ولم يفده، بل أضره وجعله يقف عند الحد الذي وصل إليه بفضل ذلك التسامح.